

سورة التحريم ﴿الآية: 8﴾

● أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف أهمية التوبة إلى الله وشروطها الشرعية.
- 2- أن أدرك أن التوبة تكفر الذنوب وتنفع صاحبها في الآخرة.
- 3- أن أتوب إلى الله تعالى من كل ما صدر عني من الذنوب.

● تمهيد

بعد أن أمر الله المؤمنين بوقاية أنفسهم وأهليهم من نار جهنم ، وحذر الكافرين بأنه لا عذر لهم يوم القيامة ، أمر المؤمنين أن يقلعوا عن المعاصي ، وأن يتوبوا إلى الله توبة نصوحا ، على ما صدر منهم من هفوات ، ويعزموا على عدم الرجوع إليها ليكفر الله عنهم سيئاتهم ويدخلهم جنات النعيم .

فما هي أهمية التوبة إلى الله؟ وكيف أتوب إلى الله توبة نصوحا؟

● الآيات

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّةَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّا عَاطِلُونَ﴾ [سورة التحريم: 8]

الشرح:

تَوْبَةً نَّصُوحاً: أن تتوب من الذنب ثم لا تعود إليه أبداً، ولا تريد أن تعود.

أَنْ يُكْفِّرَ: يستر.

لَا يُخْزِي: الخزي الهوان والذل.

يَسْجُلُ: يمضي.

استخلاص مضامين الآية:

1- بم أمر الله عباده المؤمنين في الآيات؟

2- ما هي مقاصد التوبة وفوائدها على العبد في الآخرة؟

اشتملت هذه الآية على ما يأتي:

أولاً: أمر الله للمؤمنين بالتوبة النصوح

بعد أن أمر الله المؤمنين بأن يجنبوا أنفسهم وأهليهم ما يزوج بهم في نار جهنم، أمرهم بالتوبة مما يكون قد صدر عنهم من الذنوب؛ لأن التوبة النصوح وقاية من النار فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً﴾ هذا نداء ثان للمؤمنين في هذه السورة، يناديهم الله تعالى ليأمرهم فيه بالتوبة النصوح، قال عمر بن الخطاب التوبة النصوح هي أن تتوب من الذنب ثم لا تعود إليه أبداً، ولا تريد أن تعود. وقيل: معناه توبة خالصة، فهو من قولهم: غسل ناصح إذا خلص من الشمع، وقيل: هو أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت كتوبة الثلاثة الذين خلفوا، قال الزمخشري:

وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازي ، والنصح في الحقيقة صفة التائبين ، وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم .

والتوبة واجبة على كل مؤمن مكلف ، بدليل الكتاب كقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً﴾: [النور:32] والسنة كقوله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ، فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةٌ مَرَّةً»، [صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه]، وقد أجمعت الأمة على وجوبها .

وفرائضها ثلاثة: الندم على الذنب من حيث عصي به ذو الجلال ، لا من حيث أضر ببدن أو مال ، والإقلاع عن الذنب في أول أوقات الإمكان من غير تأخير ولا توان ، والعزم أن لا يعود إليه أبداً ، ومهما قضي عليه بالعود أحدث عزماً مجدداً .

وآدابها ثلاثة: الاعتراف بالذنب مقروناً بالانكسار ، والإكثار من التضرع والاستغفار ، والإكثار من الحسنات لمحو ما تقدم من السيئات .

ومراتبها سبع: فتوبة الكفار من الكفر ، وتوبة المخطئين من الذنوب الكبائر ، وتوبة العدول من الصغائر ، وتوبة العابدين من الفترات ، وتوبة السالكين من علل القلوب والآفات ، وتوبة أهل الورع من الشبهات ، وتوبة أهل المشاهدة من الغفلات .

والبواعث على التوبة سبعة: خوف العقاب ، ورجاء الثواب ، والخجل من الحساب ، ومحبة الحبيب ، ومراقبة الرقيب القريب ، وتعظيم المقام ، وشكر الإنعام .

ثانياً: مقاصد التوبة وفائدتها على العبد في الآخرة

وقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ معناه لعل الله يرحمكم بهذه التوبة النصوح فيمحو عنكم ذنوبكم ويدخلكم في الآخرة جنات تحت أشجارها وتحت مبانيها ، أنهار الجنة ﴿يَوْمَ لَا يُخْزَىٰ

اللَّهُ النَّجَّى العامل في يوم يحتمل أن يكون ما قبله، أو ما بعده أو محذوفاً تقديره: اذكر، والوقف والابتداء يختلف على ذلك.

وقوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾** يحتمل أن يكون معطوفاً على النبي، أو مبتدئاً وخبره بعده، وقوله: **﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾** قيل: إن هذا النور استعارة يراد به الهدى والرضوان، والصحيح هو قول الجمهور أنه حقيقة، وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ، فالمعنى على هذا أن المؤمنين يكون لهم يوم القيامة نور يضيء قدامهم وعن يمين كل واحد منهم. وقيل: يكون أصله في أيمنهم يحملونه فينبسط نوره قدامهم، وروي أن نور كل أحد على قدر إيمانه، فمنهم من يكون نوره كالنخلة، ومنهم من يضيء ما قرب من قدميه، ومنهم من يضيء مرة ويهم بالإطفاء مرة.

وقوله تعالى: **﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا نُورَنَا وَغَيْرَ لَنَا إِنَّمَا عَلَّمَكُم شَيْءً قَلِيلًا﴾** حال من ضمير نورهم، وظاهره أن تكون حالا مقارنة، أي: يقولون ذلك في ذلك اليوم، ودعائهم طلب للزيادة من ذلك النور، فيكون ضمير يقولون عائداً إلى جميع الذين آمنوا مع النبي ﷺ يومئذ، أو يقول ذلك من كان نوره أقل من نور غيره ممن هو أفضل منه يومئذ فيكون ضمير يقولون على إرادة التوزيع على طوائف الذين آمنوا في ذلك اليوم. وإتمام النور إدامته أو الزيادة منه على الوجهين المذكورين آنفاً، وكذلك الدعاء بطلب المغفرة لهم هو لطلب دوام المغفرة، وذلك كله أدب مع الله وتواضع له، مثل ما قيل في استغفار النبي ﷺ في اليوم سبعين مرة.

ويظهر بذلك وجه التذييل بقولهم: **﴿إِنَّمَا عَلَّمَكُم شَيْءً قَلِيلًا﴾** المشعر بتعليل الدعاء كناية عن رجاء إجابته لهم. [التحرير والتنوير: 371/28].

يستفاد من هذه الآية ما يأتي:

- أن الشأن في الإنسان أن يخطئ ويرتكب المعاصي ، لذلك على الإنسان أن يداوم على التوبة لتصحيح أخطائه والعودة إلى الله عز وجل .
- أن المؤمن لا يقنط من رحمة الله مهما عظمت ذنوبه ، وعليه أن يتوب إلى الله فيغفر الله له ويمحو عنه ذنوبه .
- أن التوبة باب من أبواب رضا الله ومدخل من مداخل الجنة والنجاة في الآخرة .
- أن المؤمن في ظلمات يوم القيامة يسير في نور إيمانه وعمله ، فمن شاء أن يسير في ذلك اليوم في النور التام فليكثر من العمل الصالح ليزداد نوراً .

● التقويم

- 1- أبين مفهوم التوبة النصوح وحكمها الشرعي مع الاستدلال .
- 2- أعدد في جدول فرائض التوبة ، وآدابها ، ومراتبها ، والبواعث عليها .
- 3- ما معنى قوله تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾؟
- 4- أبين قيمة التوبة في العلاقات الاجتماعية والإنسانية .

● الاستثمار

عن عبد الرحمن بن أبي عمرة ، قال : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا - وَرُبَّمَا قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا - فَقَالَ : رَبِّ أَذْنَبْتُ - وَرُبَّمَا قَالَ : أَصَبْتُ - فَاغْفِرْ لِي ، فَقَالَ رَبُّهُ : أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا ، أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا ، فَقَالَ : رَبِّ أَذْنَبْتُ - أَوْ أَصَبْتُ - آخَرَ ، فَاغْفِرْهُ؟ فَقَالَ : أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا ، وَرُبَّمَا قَالَ : أَصَابَ ذَنْبًا ،

قَالَ: قَالَ: رَبِّ أَصَبْتُ - أَوْ قَالَ أَذْنَبْتُ - آخِرَ، فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ: أَعْلَمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ»
[صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [الفتح: 15]]

أتأمل الحديث أوضح تجليات رحمة الله بعباده من خلال مضمونه.

● الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيتين: 9-10 من سورة التحريم وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ(ة):

- 1- أبحث في أنواع الجهاد وشروطه وضوابطه الشرعية.
- 2- أراجع بعض كتب التفسير، وألخص قصتي امرأة نوح ولوط عليهما السلام، والعبر المستفادة منهما.